طـرق الرجـولة

● لقـد رسم الرسـول ﷺ طرق الرجـولة وبين مـيـادينهـا ومـواطنهـا ومبادئها فى حديث جامع فلينظر كلاً منا إلى نفسه هل ينتسب إلى رجل من هؤلاء الرجال الذين جمعهم الرسول ﷺ فى حديث.. حين قال:

«سـبـعـة يظلمـهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله.. فـمن هم هؤلاء الرجال السبعة:

١ ـ إمام عادل.

٢ ـ شاب نشأ فى عبادة الله عز وجل.

٣ ـ رجل قلبه معلق بالمساجد.

٤ ـ رجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه.

٥ ـ رجل دعته إمرأة ذات حسن وجمال فقال: إنأخاف الله تعالى.

٦ ـ رجل تصدق بصدقة فأخفاهاحتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

٧ ـ ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه».

فكل صنف من هؤلاء النماذج هو رجل ممننرجوه فماذا لو إجتمعت كلها فى شخص واحد فهذا رجل بسبعة رجال فى عشرة بسبعمائة رجل.

129

رجلٌ يرفض التدخل فى القضاء

● أصبح التدخل فى القضاء من الأمور السهلة فى هذه الأزمان فمن الممكن أن يصدر القاضى حكماً ويعطله شخصاً هو أذل وأحقر من الحبر الذى كتب به الحكم لكنها الأيام والأيام دول هنا وقعة تدل على مثل هذا لكن ما هو موقف القاضى..

هذا القاضى هو أحمد بن حنبل والطرف الثانى معه هى زوجة الرشيد فهذا وكيلها يشترى لها جمالاً من جمال ثم لا يعطيه حقه فيذهب الجمال إلى القاضى ليشكوه فيقر الوكيل بأن الدين فى رقبة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد، ولكن الوكيل هو الذى إشترى وباع وأقر بالواقعة فأمر بحبسه، فلما علمت زبيدة ذلك أرسلت إلى الخليفة تقول:

- قاضيك هذا أحمق، حبس وكيلى وأستخف بى إمنعه من نظر القضية وأطلق سراح وكيلى، وأعزله عن القضاء.

فقال هارون الرشيد: لا أملك هذا.

ولما علم ذلك أحمد بن حنبل قام من فوره إلى مجلس القضاء **واستدعى الجمال وشهد له الشهود** على حقه فكتب حكم بإيصال الجمال **حقه كاملاً من مال زبيدة زوجة الرشيد وإلا حبست فى هذا الحق.**

فضجت زبيدة، ولجأت إلى زوجها الخليفة الذى قال لها: هذا أمر لا أملكه.

130

فكان موقفاً إهتزت له الخلافة وأذعنت له الرؤساء ووصل الحق لأصحابه.. وهو هو الذى قال فى موقف حق آخر.. عندما تقدم إليه أحد وزراء الرشيد ليشهد شهادة فرده الإمام القاضى. فلما سأل عن السبب قال: لقد سمعت هذا الوزير يقول للخليفة أنا عبدك.

فإن كان صادقاً فهو إذا عبد والعبد لا تقبل شهادته.. وإن كان كاذباً أو منافقاً.. فلا شهادة لكاذب أو منافق.

فهل كان الإمام فى حكمه على زوجة الرشيد إرهابياً وكثيراً من مثل هذه الأحكام تضيع فى دهاليز المحاكم لتدخل شخص أو آخر أو لهدية أو عطيه.

وهل كان الإمام القاضى إرهابياً لما حكم ببطلان شهادة الوزير العبد وكثيراً من وزراء هذه الأيام فى كل بلاد العرب والمسلمين وأخص فى كل بلاد العرب والمسلمين عبيد بكثير من كلماتهم وأحاديثهم.

لله درك يا إمام..

وهل كنت إرهابياً لما أفتيت..

إن كل ما فى أيدى الخلفاء والأمراء والأغنياء حرام عليهم ما دام فى الأمة جياع.. وأفتى يوماً قائلاً: بأن الخليفة الظالم لا يطاع إذا ظهر ظلمه للناس.. وقال بهذا لما سمع هذه القصة عن شيخه عبداً لله بن المبارك لما كان فى حجة له ورأى غلام وصبية يحملون طائراً ميتاً فسألهما الإمام ما حملكما على ذلك فقالا له: بعلم الفقه.

لقد أحلت لنا الميتة منذ ثلاثة أيام يا سيدى.

فسألهما: لماذا؟

فقالوا: لقد كان أبونا ذا مال فظلم وأخذ ماله قهراً ثم قتل.

فقال لهم: من فعل هذا؟

فقالوا: رجال الخليفة.. وأمنا فى البيت تتضور جوعاً أكثر منا.

فأمر غلامه بإعطائه نفقة حجهم فى هذا العام.. وهو يقول: هذا أفضل من حجتنا هذا العام.. هذا أفضل من حجتنا هذا العام.

فلما سمع الإمام أحمد بن حنبل هذه القصة أفتى بالفتوى السابقة.

وكم من رجال مثل هذا الرجل فى عهودنا وفى دولنا فأين لنا الإمام الذى يقول لنا ما قاله الإمام أحمد بن حنبل وأين الخليفة الذى يطيع أمر الإمام والقاضى.

يارب.

العفو من شيم الرجال

● الذى عفا عن ظالمه هنا هو الإمام مالك بن أنس شيخ الفقه المالكى لما جلس بين الناس يروى حديث رسول الله ﷺ: **«ليس على مستكره يمين»**.

أى لا عهد لمن أخذ منه العهد أو البيعة قهراً أو بالإكراه وإذا ببعض الناس ينقضون عهودهم مع الخليفة المنصور لأنه أخذ البيعة قهراً وظلماً.. فغضب لذلك والى المدينة والذى كان يشايع الخليفة المنصور.. فأمره بالإمتناع عن الكلام فى هذا الحديث لكن الإمام رفض وظل يشرحه لكل من يريد فهمه.. فأمر الوالى رجاله فضربوا الإمام مالك حتى خلعوا ذراعه وكتفه وحبس فى بيته.. وثار الناس وغضبوا على الوالى والخليفة معاً.. وعلم الخليفة بفعل واليه.. فأرسل إلى مالك بن أنس ليأتيه دار الخلافة فى بغداد فرفض المضى إليه.. وحضر الخليفة إلى المدينة وأمر بعزل واليها عقاباً له على إهانة الإمام مالك وأحضره للإمام وهو مصفد بالحديد يرجوه أن يفعل فيه ما يشاء.

لكن الإمام مالك قال:

ـ لقد عفوت عنه لقرابته من رسول الله ﷺ ومنك.

فقال الخليفة المنصور: عفا الله عنك وعنا ووصلك.

فلا عجب وقد زاره أحد الولاة بعد ذلك فى بيته ليسأله النصيحة.. فسمع بعضاً من الناس يمتدحونه ويثنون عليه فهب فيه مغاضباً وهو يقول له:

- «إياك أن يغرك هؤلاء بثنائهم عليك فإن من أثنى عليك وقال فيك من الخير ما ليس فيك. أوشك أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك.. إنك أنت أعرف بنفسك منهم ولقد قال رسول الله ﷺ:

- **«إحثوا التراب فى وجوه المداحين»**.

فكم من نفس ضعيفة تغتر بالثناء حتى لا تظن أنه حقيقة وهو فى نفسه يعلم أنه ليس بحقيقة لكنه تأخذه العزة بالإثم ويظن أنه بهذا الحديث سار سيد البشر.. فإذا ما سقط كان أحقر البشر.

ولله الأمر من قبل ومن بعد،

رجل يرفض ملك مصر

● ذلك هو الإمام الفقيه العالم الثرى الذى كان يملك نصف مصر بمفرده من بورسعيد «الفارما سابقا» كلها حتى أقاصى الصعيد.. يلتقى يوماً مع الخليفة المنصور فيعجب به وبعلمه ويعرض عليه ولاية مصر.. هذه الولاية التى يتمناها كل من فى نفسه حب الإمارة أو الرغبة فيها.

وخجل الليث من أن يصرح برفضه صراحة للخليفة فما كان منه إلا أن قال:

- يا أمير المؤمنين إنى أضعف من ذلك الرجل من الموالى.

فقال له الخليفة:

- والله يا ليث ما بك ضعف.. ولكن ضعفت نيتك فى العمل عن ذلك لى.. لقد أعجبتنى أيها الرجل وكنت أود لو أعنتنى على الأمر.. فمثلك لا يترك من الإمارة.. أكثر الله فى الرعية من أمثالك.

وأرسل إليه والى مصر يوماً أن يذهب إليه فى دار الإمارة، فأرسل الليث إلى الوالى يقول له:

أئتينى أنت فإن مجيئك إلى زين لك، ومجيئ إليك شين علىَّ.